الحلقة العشرون

الدروس المستفادة من غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد انتهينا من الحديث عن غزوة بدر ، والحديث أوسع نطاقا مما تحدثت ، ودائرة الكلام عن تلك الغزوة أكبر مما ذكرت ، والآن إلى بعض الدروس المستفادة من هذه الغزوة فماذا نجد في تلك الموقعة التي تحدث عنها القرآن الكريم من دروس ؟ إننا نستنبط منها درسا رائعا له أهميته، وهو الديمقراطية والشورى ، إذ أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن منفردا برأي ، ولم يفرض علي أصحابه قرارا بخصوص المعركة ضد الأعداء ، وإنما جمعهم في جو ديمقراطي حر واستدعاهم للاستئناس برأيهم والتعرف علي أفكارهم ، وجلس عليه السلام معهم علي مائدة الشورى وفوق بساط البحث وطلب منهم إبداء آرائهم وأفكارهم حيال هذا التجمع العدواني ، لأن الأمر جد خطير ، ولأنهم أمام طوفان مدمر من الحقد فلا بد - والحال هذه - من أن تعرض الآراء وتمحص ، وتبرز الأفكار ، ويتخذ القرار ، القرار الجماعي الموحد ، الذي يمثل أفكار الجميع ، والذي يجسّد واقع نياتهم ، ويكون فيه ارتفاع إلى مستوي المسئولية ، والشورى لها أهميتها ودورها الكبير ، وهي وسيلة لغاية نبيلة ، ووسيلة إلى فكر مستنير ، ورأي قوي بناء ، وقرار موحد ، يستهدف الصالح العام ، ويبعد المجتمع عن الهلاك والدمار ، ويكون فيه الخير والرفعة ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ، قد استشار أصحابه ليصل بالمجتمع الإسلامي إلى هذه الغاية النبيلة ، وليجعل منه مجتمعا قويا ، يستطيع أن يواجه المشاكل ، ويحطم الصعاب ، ويتحدى العقبات ، ويحقق النصر ، ويواصل المسيرة في أمان

واطمئنان ، ثم إنه بالشورى احترم مشاعر أصحابه ، وكرمهم وقدرهم ، حيث أشركهم معه في الرأي ، ولم ينظر إليهم نظرة فيها امتهان لهم وازدراء ، إنه - صلوات الله وسلامه عليه - قد جسّد لنا هذا الدرس الرائع عمليا ، وهو بهذا يريد أن تحذو أمة الإسلام من بعده حذوه ، وأن تسير علي هذا النمط الديمقراطي المبني علي الشورى ، التي قال ربنا عنها إنها من مقومات العقيدة الإيمانية ، وسمة من سمات المسلم الحقيقي ، وهذا هو قوله تعالي :

﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شوري بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (الشورى : ٣٨) .

إن الأمة المسلمة حين تحقق هذه الصفات وتلك السمات ، فإنها تكون آمنة علي مستقبلها ، قوية في مسيرة حياتها ، وتستطيع أن تواجه مشاكل الحياة وعقدها بشجاعة ، وتعالج الأمور بحكمة ، وتضع الأسس السليمة التي تمكنها من النصر علي الأعداء، إنه يتراءى لنا هذا الدرس العظيم من خلال هذا الجمع الكبير لكل من الأنصار والمهاجرين ، وإصدارهم قراراً واحدا متفقا عليه ، وهو خوض المعركة ضد الأعداء ، مهما كان حجمهم وعدتهم ، ومهما كلفهم ذلك من تضحيات ، ثم إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يقف عند هذا الحد من الأخذ بالشورى في البداية ، وإنما أخذ بها أيضا بالنسبة للموقع الذي يعسكر فيه المسلمون ، ولهذا نزل علي رأي الحباب بن المنذر عندما أشار بتغيير الموقع ، وأخضع - عليه السلام - الخطة للرأي والحرب والمكيدة ، كما أنه استشار بالنسبة للأسرى الذين أسروا في هذه الغزوة ، وهكذا نجد الرسول العظيم يستشير أصحابه ويحترم أراءهم مع أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأنضجهم فكرا ، هو مع هذا كان يجسّد عمليا قول الله تعالي : ﴿ وأمرهم شوري بينهم ﴾ (الشوري : ٣٨).

وقوله سبحانه : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

إن الشورى لها مكانتها الكبيرة في الإسلام ، ولها أهميتها في قوة

بناء المجتمع ، ولهذا يجب الاهتمام بالشورى ، والعمل بها وعدم إهمالها ، ولا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، هذا هو الدرس الأول من دروس غزوة بدر ، وهو كما نري درس كبير له أهميته في حياة الناس ، ولا سيما أمة الإسلام.

ويبرز لنا بعد ذلك درس آخر ، وهو أهمية الحصول علي معلومات من العدو ، وكما عرفنا في هذه الغزوة ، كانت هناك سرية استطلاع قبل الدخول في الحرب ووظيفة هذه السرية جمع معلومات عن العدو ، وقد استطاع الرسول ، عليه السلام - عن طريق سرية الاستطلاع هذه أن يعرف بعض الأسرار عن العدو ، عن مكان تجمعه ، وعن عدد أفراده ، وما إلى ذلك من معلومات أخري هامة ، وبهذا استعدت قوات المسلمين وهي متيقنة من الموقف ، وأية موقعة حربية لابد من الاستطلاع قبلها ، وجمع كل ما يمكن الحصول عليه عن العدو، من حيث تسليحه ومن حيث عدده ، ومن حيث تدريبه ، ومن حيث طرق تموينه ، وما سوي ذلك من أمور أخرى تفيد ، فالرسول - عليه السلام - لم يدخل المعركة وهو خال من المعلومات عن أعدائه ، وإنما كان علي دراية من أمور تتعلق بهم ، حتي يضع خطته بناء علي ذلك ، وحتى يعمل علي انتزاع النصر من هؤلاء الأعداء ومن خلال استعراضنا لهذه الغزوة ، نستنبط درسا آخر، وهو أن الروح المعنوية لها ثقلها وقيمتها في ميزان الحرب ، وكما نعرف كان عدد المسلمين بالمقارنة بعدد الأعداء قليلا ، وكانت عدة المسلمين ضئيلة ، ولكن مع هذا الفارق الكبير كان النصر للمؤمنين ، نظرا لان قلوبهم كانت عامرة بالإيمان ، مليئة بالثقة في نصر الله ، ولأنهم كانوا يدافعون عن مبدأ وعقيدة ، وقد دخلوا المعركة ولديهم رصيد كبير من الاقتناع بعدالة قضيتهم ولهذا كانوا يستهينون بالصعاب ، ويستبسلون في القتال ، ويحاربون بشجاعة منقطعة النظير ، فكانت النتيجة النصر علي الأعداء ، وإلحاق الهزائم بهم ، وفي المقابل نجد أعداء المسلمين لم يكن لديهم شيء من ذلك ، فلا قوة معنوية عندهم ، ولا مبدأ لديهم يدافعون عنه ، ولا عقيدة سليمة تملأ قلوبهم، وإنما دخلوا المعركة من فراغ ، ولهذا حلت بهم الخيبة ، وباءوا بالخزي والعار ،

ولحقت بهم الهزائم ، وإذاً لا بد من وجود الروح المعنوية وارتفاعها لدي من يدخلون المعارك ، و لابد من القلب المملوء بالإيمان بالله والثقة في نصر الله ، وإلا كان الرعب وعدم النجاح ، والوهن والإخفاق .

أيها الإخوة والأخوات : تلك بعض الدروس قد استنبطناها من غزوة بدر وهي دروس هادفة نافعة ، فيها الخير كله ، وبها تتحقق الآمال ، وبتطبيقها وتعميقها والاهتمام بها يكون النصر العظيم ، وهناك دروس أخرى تستنبط من هذه الغزوة ، ولكني أكتفي بما تقدم من دروس ، والله أسأل أن ينفعنا بهذه الدروس وغيرها ، وأن يجعلنا كذلك من المنتفعين بدروس الحياة ، وما أكثر ما فيها من دروس ، وما أغزر ما تؤديه للإنسانية من معلومات ، هذا وبالله التوفيق .